سليمان أبو ارشيد (*)

القدس تحت وطأة التهويد:
الجمعيات الاستيطانية تنشب مخالبها في لحم المدينة الحي

تمهيد

تشكل الجمعيات الاستيطانية العاملة في القدس، بصورة أو بأخرى، ذراعا إسرائيلية رسمية تضرب بواسطتها الحكومة الإسرائيلية في مواضع وطرق كانت ستسبب لها حرجا دوليا كبيرا لو قامت بذلك بشكل مباشر، وبالتالي فهي تحقق أهدافا تتقاطع فيها السياسة الرسمية الإسرائيلية مع غلاة المستوطنين وأكثرهم تطرفا وتشددا أيديولوجيا، بأقل كلفة وخسائر في الساحتين الدولية والعربية وحتى الإسرائيلية الداخلية ذاتها. تنشط هذه الجمعيات، وخاصة «إلعاد» و«عطيرت كوهنيم» أساسا في البلدة القديمة ومحيط المسجد الأقصى والأحياء الملاصقة والمجاورة لها، مثل سلوان والشيخ جراح، وتسعى الى تهويد هذه المناطق التي تشكل الدائرة الضيقة للقدس أو قلبها التاريخي، بعدما تمت احاطتها بحزام استيطاني كثيف.

تسهل المكانة القانونية الخاصة للجمعيات الاستيطانية من إمكانية حصولها على دعم وإسناد المتمولين الصهاينة أمثال إروين موسكوفيتش وغيره في أميركا وأوروبا، وتتمتع بغطاء من مسجل الجمعيات والشركات الذي يوفر لها حصانات لتدفق عشرات ملايين الشواكل إليها دون الكشف عن هوية المتبرعين. وتقوم ما تسمى بـ«دائرة أراضي إسرائيل» بموازاة ذلك بنقل العقارات المستولى عليها بموجب قانون «أملاك الغائبين»، الذي تطبقه إسرائيل على القدس بهدف السطو على أملاك الفلسطينيين، لجمعيتي «العاد» و«عطيرت كوهنيم» الاستيطانيتين المتطرفتين، بدون إجراء أي عطاءات وبأسعار زهيدة، في وقت توفر وزارة الإسكان الإسرائيلية

(*) صحافي فلسطيني- دبورية (الجليل).

ووفقا لتقديرات الأوساط الإسرائيلية المناوئة للاستيطان فإن مجموع الصفقات التي عقدت بين دولة الاحتلال والجمعيتين الاستيطانيتين «إلعاد» و«عطيرت كوهنيم» يقارب الـ ٨٠ صفقة، ونقلت وسائل إعلام إسرائيلية عن دافيد بئيري مؤسس جمعية «إلعاد» الاستيطانية اعترافه باستخدام طرق الغش والخداع في الاستحواذ على الممتلكات الفلسطينية، حيث يقول إنه يتم شراء الأملاك من العرب بواسطة شخص يدعي أنه أحد عناصر «حزب الله»، وبعد شرائها يقوم ببيعها للجمعية.

لهما حراسة بمبلغ ٥٤ مليون شيكل سنوياً.

شركات خفية في الخارج و سماسرة في الداخل

تعمل تلك الجمعيات بدعم مؤسسات حكومية وشبكة شركات خفية في الخارج وشبكة من النشاطات السرية المستمرة، وتشكل سلوان الآن بؤرة النشاطات الاستيطانية، وتعمل الجمعيات الاستيطانية من خلال دمج الضغوط بالإغراءات المالية السخية على شراء عقارات فيها، كما تشرف الجمعيتان «العاد» و«عطيرت كوهنيم» وبصورة سرية تامة على شركات فرعية بعضها مسجل في الخارج، بما في ذلك أماكن التهرب من دفع الضرائب مثل «جزيرة العذراء»، وتتسترات على هويات المتبرعين لهما وتحصلان على مساعدة دولة الاحتلال من أجل شراء العقارات، خصوصاً في إطار قانون أملاك الغائبين.

الاحتلال نقل عشرات المباني الفلسطينية للجمعيتين بأسعار زهيدة

تسيطر جمعية «إلعاد» الاستيطانية حتى اليوم على حوالي ١٥ عقاراً في سلوان، يقطن فيها حوالي ٥٠٠ مستوطن من غُلاة المتطرفين، بينما تمكنت جمعية «عطيرت كوهنيم» الناشطة في البلدة القديمة وفي الحي الإسلامي على وجه التحديد، من نقل ٦٠ عائلة استيطانية إلى البلدة القديمة وعدة مئات من طلبة المدارس الدينية، فيما نقلت دولة الاحتلال للجمعيتين ومن خلال هذه الأساليب عشرات العقارات الفلسطينية التي استولت عليها بموجب «قانون أملاك الغائبين» بدون أي عطاءات.

كما وفرت دولة الاحتلال للجمعيتين فرصة العمل من وراء ستار محكم الإغلاق لخدمة أهدافهما الاستيطانية. وهكذا تدعم دولة الاحتلال الاستيطان ماديا وتخصص إلى جانب ذلك سنوياً عشرات ملايين الشواكل لحراسته وتعمل، من خلال الحراس وآلات التصوير والجدران، على الفصل بين المستوطنين والسكان الفلسطينيين في سلوان والبلدة القديمة.

وكانت تقارير صحافية إسرائيلية قد كشفت أن ما تسمى «دائرة أراضي إسرائيل» نقلت، في إطار إحدى عشرة صفقة، مباني وأراضي للجمعيتين الاستيطانيتين، سواء بيعاً أو استئجاراً بمبالغ زهيدة، حيث أوردت على سبيل المثال، ان «عطيرت كوهنيم» تدفع لقاء استئجار المنزل الذي يتكون من أربع غرف في البلدة القديمة مبلغ ٥٥٩٣ شيكلا سنوياً، أي ٤٦٦ شيكلا شهرياً.[١]

وكشفت تلك التقارير أيضا أن أرضا بمساحة دونم باعتها دولة الاحتلال لـ «إلعاد» بمبلغ ٢٦٢,٨٠٠ شيكل في شباط ٢٠٠٥، وهي الأرض التي أقيم عليها الموقع الاستيطاني «مركز زيارات مدينة داود» وكانت في الماضي ملكا لعائلتي قراعين وسمرين، وتمت السيطرة على هذا العقار العام ١٩٨٩ مثلما تمت السيطرة على معظم العقارات بناء على «قانون أملاك الغائبين» وتحول الاستئجار بأجر شهري بلغ ٤١ شيكلا فقط بعد عشرين عاما إلى ملكية للجمعية.[٢]

ووفقا لتقديرات الأوساط الإسرائيلية المناوئة للاستيطان فإن مجموع الصفقات التي عقدت بين دولة الاحتلال والجمعيتين الاستيطانيتين «إلعاد» و«عطيرت كوهنيم» يقارب الـ ٨٠ صفقة،[٣] ونقلت وسائل إعلام إسرائيلية عن دافيد بئيري مؤسس جمعية «إلعاد» الاستيطانية اعترافه باستخدام طرق الغش والخداع في الاستحواذ على الممتلكات الفلسطينية، حيث يقول إنه يتم شراء الأملاك من العرب بواسطة شخص يدعي أنه أحد عناصر «حزب الله»، وبعد شرائها يقوم ببيعها للجمعية.

ومع علمها أنها لا تستطيع قلب الواقع الديمغرافي في سلوان رأساً على عقب، توظف جمعية «إلعاد» الاستيطانية، في السنوات الأخيرة، جهودا هائلة في مشروع إقامة متحف كبير يحظى بدعم رئيس بلدية الاحتلال، نير بركات، وسلطة الطبيعة والحدائق، وستقوم «دائرة أراضي إسرائيل» بنقل أراض لسيطرة جمعية «إلعاد» في المناطق التي تتبع لسلطة الدولة في سلوان لصالح إقامة هذا المشروع الذي أثار في البداية حفيظة سلطة الآثار الإسرائيلية.

«إلعاد» يرأسها نائب قائد وحدة «دوفدوفان» ويرأس إدارتها حاصل على جائزة نوبل للسلام

«إلعاد» هي اختصار للكلمات العبرية «إلى مدينة داوود» وهي كما تعرف نفسها في موقعها الإلكتروني باللغة العبرية، جمعية إسرائيلية تعمل على تقوية العلاقة اليهودية بالقدس وتأسيس الوجود اليهودي والسياحة في «مدينة دافيد» الكائنة في سلوان والمناطق المجاورة لها.[٤]

اقيمت الجمعية العام ١٩٩٦ على يد دافيد بئيري، نائب قائد وحدة «دوفدوفان» التابعة للجيش الإسرائيلي (وحدة مستعربين) وهو يقف على رأس الجمعية حتى اليوم، بينما يرأس المجلس العام للجمعية ايلي فيزل الحاصل على جائزة نوبل للسلام، وتضم في عضويتها (سنة ٢٠١٤) كلا من مدير عام مكتب رئيس الحكومة السابق ايلان كوهن، مدير عام بلدية الاحتلال في القدس السابق ايتان مئير، المحامي دان بن إسحق، المغني يورام غاؤون، القاضي المتقاعد يعقوب بيزك، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية «أمان» السابق عاموس يادلين، القاضي المتقاعد تسفي طال، قائد الشرطة الإسرائيلية السابق إسحق أهرونوفيتش والبروفسور شلومو مور- يوسف.

وتعمل الجمعية لإنجاز أهدافها، كما تقول في موقعها، بواسطة السياحة، التربية، الحفريات الأثرية، «شراء» البيوت والأراضي من سكان سلوان أو «استئجارها» من شركة عميدار الإسرائيلية لغرض إسكان اليهود في هذه البيوت.

ويفيد موقع الجمعية، أن غالبية نشاطها تركز حتى العام ٢٠٠٠ في ما يسمى « الحديقة الوطنية» «مدينة دافيد» التابعة لسلطة الطبيعة والحدائق والتي تديرها الجمعية. بعدها توسع نشاطها السياحي والتربوي ليشمل الحوض المقدس وجبل الزيتون وسلسلة «أرمون هنتسيف».

تقدر الجمعية دورتها المالية العام٢٠٠٧ بـ ٤٥ مليون شيكل معظمها كما تقول من أموال التبرعات، علما أن التقارير المالية للجمعية تشير إلى أنها من أغنى الجمعيات في إسرائيل، وبحسب تقارير (العام ٢٠٠٨)، فقد وصلت أملاكها إلى ١٠٤ ملايين شيكل، منها ٩٤ مليون شيكل حصلت عليها من تبرعات سرية، بعد أن حصلت على حصانة من مسجل الجمعيات، في حين حصلت على ١٠ ملايين شيكل كمدخول من السياحة إلى ما يسمى «مدينة دافيد» وهي موقع استيطاني على مدخل حي وادي حلوة الأقرب إلى المسجد الأقصى من جهته الجنوبية.[٥]

موطئ قدم إسرائيلية في البلدة القديمة لمنع تقسيم القدس

عاد اسم جمعية «العاد» إلى احتلال وسائل الإعلام، بعد قيام شركة تابعة لها مسجلة خارج البلاد بالاستحواذ على٢٥ شقة في حي سلوان. ولم يمر سوى يوم واحد حتى وصل وزير الاقتصاد الإسرائيلي في حينه نفتالي بينيت، إلى المكان ليعلن بشكل احتفالي: «أن الأغلبية اليوم في «مدينة دافيد» هي يهودية ومعنى ذلك أن «بوابة دافيد» (المدخل الجنوبي للحرم القدسي الشريف) سوف تبقى للأبد بيد دولة إسرائيل، معتبرا أن الأمر بحدّ ذاته حدث تاريخي».[٦]

كشف تصريح بينيت ليس فقط الدعم والغطاء الحكومي غير المحدود لنشاط جمعيات المستوطنين في القدس، بل إن هدفها هو منع «تقسيم» مدينة القدس، وإبقاء أجزاء من البلدة القديمة بيد إسرائيل حتى لو تم تقسيم المدينة مستقبلا باتفاق.

ومع علمها أنها لا تستطيع قلب الواقع الديمغرافي في سلوان رأساً على عقب، توظف جمعية «إلعاد» الاستيطانية، في السنوات الأخيرة، جهودا هائلة في مشروع إقامة متحف كبير يحظى بدعم رئيس بلدية الاحتلال، نير بركات، وسلطة الطبيعة والحدائق، وستقوم «دائرة أراضي إسرائيل» بنقل أراض لسيطرة جمعية «إلعاد» في المناطق التي تتبع لسلطة الدولة في سلوان لصالح إقامة هذا المشروع الذي أثار في البداية حفيظة سلطة الآثار الإسرائيلية التي ادعت أنه يجب الحفاظ على «مدينة دافيد» وعدم السماح ببناء أي بناية في المكان، ودعت إلى قصر الأعمال في المكان على الحفريات الأثرية وصيانة الآثار وإعادة ترميمها، بل واتهمت جمعية «العاد» بأنها كانت خلال السنوات الأخيرة مسؤولة بشكل مباشر عن المساس بالآثار والبناء غير القانوني، الأمر الذي اضطر سلطة الآثار في بعض الحالات لاستخدام الشرطة لمنع هذا المساس.

كيف تحولت سلطة الآثار إلى شريك للمستوطنين وتواطأت بتحويل قبور إسلامية ليهودية

أزالت سلطة الآثار في العام ٢٠٠١ اعتراضها على تطوير المكان القريب من «مدينة دافيد»، بينما وصفت عمليات الحفريات في المكان على أنها «حفريات إنقاذ» وليست «حفريات علمية»، أي أن الهدف من الحفريات هو إنقاذ الآثار في المكان ونقلها لمكان آخر، وليس الحفاظ عليها في مكانها الأمر الذي يعني، «الموافقة على عمليات البناء».[٧] وفي العام ٢٠٠٥ خضعت سلطة الآثار لمطالب جمعية «إلعاد» ووافقت على السماح بدفع خطة البناء، والنظر بقضية الجهة المسؤولة عن الآثار التي سيتم العثور عليها في المكان، وفي ذلك الوقت كان الجميع متفقا على إقامة المبنى داخل حديقة «مدينة دافيد». وفي العام ٢٠٠٧ بدأت أعمال الحفريات في المكان وبدأت مرحلة إقامة موقف سيارات كبير، إلا أن هذا الموقف تحول مع الوقت إلى مركز تجاري. وفي العام ٢٠٠٨ تقدم أهالي سلوان مع حركة «السلام الآن»، بالتماس للمحكمة العليا ضد إلعاد بسبب بناء جدران غطت الحفريات العلمية.

وتبين لاحقا أن هذه الجدران جاءت لتعطي الضوء الأخضر لإقامة مبنى من سبعة طوابق وبمساحة ١٦ ألف متر مربع. وبحسب الخطة سيتم تخصيص الطابق الأول من المبنى لعرض الآثار التي تم العثور عليها في المكان، بينما يخصص الطابق الثاني كموقف للسيارات ومن فوقه تخصص بوابات لـ«مدينة دافيد» ومكاتب وصفوف تعليمية ومتحف وقاعة اجتماعات كبيرة بالإضافة إلى محال تجارية ومطاعم، كل ذلك على بعد ٢٠ مترا من البلدة القديمة في مدينة القدس.

هكذا تحول موقف سلطة الآثار من المعارضة الشديدة لإقامة بناء في المكان، إلى تأييد خطة البناء وإلى تعاون مع جمعية «إلعاد» في مجموعة من عمليات الحفر والتنقيب في مناطق ملاصقة للمسجد الأقصى وللبلدة القديمة في مدينة القدس، وخاصة حول ما يسمى «مدينة دافيد». وهكذا بات المشروع الكبير لجمعية «إلعاد» (مدينة دافيد) حلقة الوصل بين جمعية اليمين المتطرف التي تعمل على تهويد مدينة القدس وبين سلطة الآثار الإسرائيلية والسلطات الرسمية في إسرائيل، بعد تدخل هذه السلطات على ما يبدو لتقريب وجهات نظر الآثار والمستوطنين، أو إخضاع الآثار للاستيطان. وفي هذا السياق تكشف الوثائق المذكورة أن عمليات الحفر التي تجري في المكان لم تخضع لأي خطة للحفاظ على الأثريات، الأمر الذي يثير حفيظة كبار علماء الآثار داخل سلطة الآثار، وتشير كذلك إلى إخفاء الأسباب الحقيقية لعمليات الحفر عن قضاة المحكمة العليا الإسرائيلية.

وتكشف الوثائق أيضا عن قضية تفكيك القبور الإسلامية في المكان وإقامة قبور يهودية بدلا منها، وكيف تحولت سلطة الآثار مع الوقت لشريك فعلي لإقامة بناء كبير على رأس التلة التاريخية في مدينة القدس، وذلك بشكل مخالف للسياسة المعلنة التي تمنع إقامة أبنية على ظهور تلال أثرية وتاريخية في المدينة المقدسة.

«عطيرت كوهنيم»

هي جمعية يهودية إسرائيلية تعمل على الاستيطان في البلدة القديمة في القدس وخلق أغلبية يهودية في البلدة القديمة وشرقي القدس. اقيمت الجمعية في مطلع الثمانينيات واطلقت على نفسها اسم «عطيرت ليوشناه» (استعادة المجد) وبعد احتكاكات كثيرة حول طبيعة عملها، كما تفيد مصادرها، تم إغلاق الجمعية الأولى وأقيمت أخرى جديدة تحت اسم «عطيرت كوهنيم» (أمجاد الكهنة) الى جانب المدرسة الدينية التي تحمل نفس الاسم. وبينما تمحور نشاط «عطيرت ليوشناه» في «العثور» على أملاك يهودية في الحي الإسلامي ونقلها الى أياد يهودية بطرق قانونية، فإن نشاط «عطيرت كوهنيم»، كما تقول، يشمل «شراء» بيوت في الحي الإسلامي من أيدي العرب أو استئجارها من شركات حكومية وتوطين اليهود فيها.

ويقوم تمويل الجمعية على التبرعات ومن بين متبرعيها الملياردير

مؤخرا، تمكنت «عطيرت كوهنيم» من الاستحواذ على مبنى البريد في شارع صلاح الدين وسط القدس المحتلة (قُبالة باب الساهرة من أبواب القدس القديمة) وأعلنت أنها تنوي تحويله إلى مدرسة دينية تلمودية. وفي رسالة بريدية بعث بها المدير التنفيذي لـ«عطيرت كوهنيم» دانييل لوريا إلى أنصاره ادعى ما يلي: «إن المنظمة (الجمعية) اشترت أكثر من ألف متر مربع في بناية كبيرة وإستراتيجية تقع قبالة البلدة القديمة، في المنطقة الواقعة بين باب العامود وباب الساهرة، وهي مبنى البريد المركزي».

اليهودي الأميركي إروين موسكوفيتش، بينما تمول وزارة الإسكان حراسة لعائلات المستوطنين التابعين للجمعية بمبلغ ٣٢ مليون شيكل سنويا.

توطين ٨٠ عائلة يهودية في البلدة القديمة

وتضع الجمعية يدها على العديد من المباني في البلدة القديمة التي تستوطن فيها ٨٠ عائلة يهودية. يشار أن رئيس الجمعية منذ اقامتها وحتى اليوم هو الحاخام ماتي دان،[٨] الذي يتميز بعلاقات واسعة وأبواب مفتوحة لدى الرؤساء الذين تعاقبوا على بلدية الاحتلال في القدس ووزارات دولة الاحتلال المختلفة، وهو كما يصفه المحامي داني زايدمان من جمعية «عير عميم» المناهضة للاستيطان، لا يعمل بطريقة الراف «كهانا» أو مستوطني الخليل بل يتبع أساليب «المباي» ويرى البلدة القديمة مدينة يهودية مع أقلية إسلامية مستسلمة.

منذ مطلع سنوات الـ ٢٠٠٠ بدأت الجمعية بشراء أراض في أحياء شرقي القدس الواقعة خارج أسوار البلدة القديمة أيضا، إلى جانب جمعية «العاد» التي تنشط في سلوان و «المدرسة الدينية» بيت أوروت التي تنشط في جبل الزيتون حيث اقيمت بمبادرتها أحياء استيطانية في «معاليه هزيتيم» و«كدمات تسيون» الواقعة في حي أبو ديس ومقابل قبر «شمعون هتسديك» في الشيخ جراح.

وكانت الوثائق التي كشفها تقرير صحيفة «هآرتس» سالف الذكر قد كشفت أن دولة الاحتلال نقلت لـ«عطيرت كوهنيم» مبنى بمساحة ٣٤٠م٢ بيع للجمعية العام ٢٠٠٦ بمبلغ ٩١٢ ألف شيكل ومبنى آخر بمساحة ٢٦٦م٢ بيع في نيسان ٢٠٠٨ بمبلغ١٫٢٤١ مليون شيكل، وقد بيع للجمعية في تموز ٢٠٠٦ منزل بمبلغ ٢٧٥ ألف شيكل، ويطلق على البيت اسم بيت غزلان وأيضا اسم «بيت الزجاج»، ووفقا لمزاعم الاحتلال تم شراء المنزل في مطلع القرن الماضي بأموال دفعها البارون روتشيلد.

مؤخرا، تمكنت «عطيرت كوهنيم» من الاستحواذ على مبنى البريد في شارع صلاح الدين وسط القدس المحتلة (قُبالة باب الساهرة من أبواب القدس القديمة) وأعلنت أنها تنوي تحويله إلى مدرسة دينية تلمودية. وفي رسالة بريدية بعث بها المدير التنفيذي لـ«عطيرت كوهنيم» دانييل لوريا إلى أنصاره ادعى ما يلي: «إن المنظمة (الجمعية) اشترت أكثر من ألف متر مربع في بناية كبيرة وإستراتيجية تقع قبالة البلدة القديمة، في المنطقة الواقعة بين باب العامود وباب الساهرة، وهي مبنى البريد المركزي». وقال لوريا «بأن المبنى سيستخدم كمركز تعليمي، إضافة إلى سكن لطلبة المدارس الدينية قبيل أداء خدمتهم العسكرية». ووصفت الرسالة هذا التملك بأنه الأكبر في هذه المنطقة التي تعتبر قلب المركز التجاري في القدس. وتابعت الرسالة بأن أعمال الترميم تجري بصمت.[٩]

يشار أن البناية التي تقع في مدخل شارع صلاح الدين، كانت شيدت إبان الحكم الأردني وتضم مكتب البريد، إضافة الى مركزٍ لشرطة وحرس حدود الاحتلال. وتسيطر على المبنى ما تسمى «سلطة أراضي إسرائيل» التي قامت بتأجيره لسلطة البريد الإسرائيلية.

مؤسسات عطيرت- المدرسة الدينية «عطيرت يروشلايم»

المدرسة الدينية «عطيرت كوهنيم» أو باسمها الرسمي «عطيرت يروشلايم» تأسست العام ١٩٨٣ في قلب البلدة القديمة في القدس، وهي تشغل عدة مبان يستولي عليها المستوطنون في قلب الحي الإسلامي في القدس . رئيس المدرسة العليا هو الحاخام شلومو أفينر وهو حاخام مستوطنة بيت ايل، ومن كبار حاخامي تيار الصهيونية الدينية وأحد تلامذة الحاخام تسفي يهودا كوك المعروفين.

يدرس في المدرسة ما يقارب الـ ٢٠٠ طالب، يلتحق معظمهم في صفوف الخدمة الإلزامية في الجيش الإسرائيلي مدة ثلاث سنوات أو أكثر، بينما يكمل قسم ضئيل منهم في أحد المسارات الدينية.

تتماثل «عطيرت يروشلايم» مع الخط الرسمي المتشدد الذي تقوده المدرسة الدينية «هار مور» ورئيسها الحاخام تسفي طاو، ورئيسها الحاخام افينر هو من خريجي «مركاز هراف» وقد عارض عصيان الأوامر العسكرية خلال تنفيذ خطة الفصل ودفع «ثمنا جماهيريا» لأنه «أفتى» بما يتعارض مع موقف رئيس المدرسة في حينه الحاخام أبراهام شبيرا.

«عطيرت»- السنة التحضيرية ما قبل الخدمة العسكرية

تعمل السنة التحضيرية ما قبل الخدمة العسكرية «عطيرت» إلى جانب المدرسة الدينية، ومن بين الحاخامين الذين درسوا ويدرسون في مؤسسات «عطيرت كوهنيم» الحاخام الرئيسي للجيش الإسرائيلي الجنرال افيحاي رونتسكي والكولونيل الحاخام ايال كريم، الذي يعتبر من كبار «المفتين» في قضايا «الفقه العسكري» ويقف اليوم على رأس مجال «الفتوى» في الحاخامية العسكرية.

تدلل السنة التحضيرية للخدمة العسكرية التي تقام في «عطيرت كوهانيم» والكائنة في قلب القدس العربية على عمق العلاقة بين مؤسسات دولة إسرائيل المختلفة، وفي مقدمتها المؤسسة الأمنية، وبين أكثر الجمعيات الاستيطانية تطرفا وعنفا.

السنة التحضيرية، كما تعلن عن نفسها، هدفها إعداد الفتية اعدادا مكثفا ومتنوعا للخدمة العسكرية، من خلال إشراكهم في تعزيز السيطرة اليهودية على البلدة القديمة في القدس وبلورة وعي «وطني» عميق عبر دراسة تراث إسرائيل ودراسة الدين اليهودي والتعرف على البلاد.

جمعية «حوموت شليم» والسطو على بيوت الشيخ جراح

هي جمعية استيطانية مقرية من عضو الكنيست السابق بيني ألون من حزب الاتحاد القومي الديني المتطرف، من أبرز نشاطاتها الاستيطانية «شراء» الأراضي التي كانت تابعة للجنة الطائفة «السفارادية» و«اللجنة العامة للكنيست» في الشيخ جراح، حيث قامت الجمعية المذكورة بتجنيد مجموعة من المستثمرين اليهود من إسرائيل والخارج لشراء الأرض التي يعيش فيها المئات من الفلسطينيين وعشرات اليهود مقابل ثلاثة ملايين دولار كما تقول، وبذلك يكون قد تم استكمال الاستيلاء على المنطقة التي يسميها المستوطنون اليهود حي «شمعون هتسديك»[١٠] التي تمتد على مساحة ١٨ دونما في الشيخ جراح، والتي بوشر بالسطو على بيوت الفلسطينيين التي يسكنون فيه وإخلاؤهم منها.

وتخطط الجمعية ومجموعة المستثمرين لإقامة حي استيطاني يهودي، وقد جرى في هذا السياق إعداد مخطط أولي لصالح مجموعة المستثمرين المسماة «نحلات شمعون م. ض» ويضم المخطط ثلاث بنايات تستوعب كل منها ٤٠ عائلة. وفي الجزء الاخر المقابل لمغارة «شمعون هتسديك» ستقام ٤٠ شقة أخرى. وكانت «اللجنة العامة للكنيست» التي يدعى أنها تملك جزءا من الأرض، قد حسمت ترددها لصالح تنفيذ الصفقة في اعقاب «فتوى» من الحاخام يوسف اليشيف أحد أكبر الحاخامين الحريديم ومصادقة المحكمة الدينية اليهودية برئاسة الحاخام ديخوفسكي، الذي أقر بأن الحديث يدور عن «إنقاذ الأرض» وتخليصها، وأنه يجب تشجيع المبادرين لإنجاحهم في بناء القدس، على حدّ تعبيرهم.

وكانت لجنة طائفة «السفراديم» التي سمحت منذ سنوات بعودة المستوطنين إلى الحي الذي أخلي من سكانه اليهود العام ٤٨ قد أقرت الصفقة التي يقف من ورائها عضو الكنيست بيني ألون والذي يعتبرها خطوة أخرى في «عودة صهيون» التي مارسها اليهود خلال أجيال إلى القدس، على حدّ تعبيره.

يشار إلى أن «لجنة السفراديم» التي يرأسها عضو الكنيست السابق يحزقيل زكاي وتستحوذ على ٥٠٪ من الأملاك، كانت قد نقلت لعضو الكنيست بيني ألون وجمعية «حوموت شليم» توكيلا بالبقاء في الموقع ووضع اليد على أملاك مثل الكنيس المتروك وغيره.

تعاون زكاي مع بيني ألون وجمعيته رغم كونه غير معروف بتوجهاته اليمينية، بل إنه كان بين أعوام ٧٧ – ٨٤ عضو كنيست عن حزب العمل.

يقول ميخائيل بن يائير[١١] الذي شغل منصب المستشار القانوني للحكومة الإسرائيلية بين الأعوام ١٩٩٣–١٩٩٧ عن بيوت الشيخ جراح في كتاب له بعنوان «الشيخ جراح»: أنا قريب جدا لهذه القضية لأنني ببساطة مولود في هذا الحي، حي «نحلات شمعون»– الشيخ جراح والذي يدعى أيضا «تسديك هشمعون» أو حارة «الجورجيم».

وبعد أن يصف كيف تعايش العرب واليهود بوئام تام في حي

ما يجري في الشيخ جراح شبيه بما يجري في سلوان بفارق واحد، وهو أن جزءا كبيرا من المنطقة المحاذية لما يسمى بمنطقة «شمعون هتسديك» يستوطنها اليهود، وإن كان ليس عبر مساكن شخصية بل من خلال مؤسسات مثل مباني الحكومة وقيادة شرطة إسرائيل الكائنة في الشيخ جراح ومستشفى هداسا في جبل المشارف.

الشيخ جراح قبل العام ٤٨ وكيف تشاركوا الفرحة والنزهات في الأعياد والمناسبات، يقول إن «الهاغناه» طلبت في كانون الثاني من ٤٨ من عائلته ومن سائر السكان اليهود مغادرة الحي، حيث اسكنوا في إحدى المدارس لمدة شهر قبل أن يحصلوا على بيوت بديلة في غرب المدينة– بيوت أخلاها سكانها الفلسطينيون.

ولماذا لا يستطيع الفلسطينيون استرداد املاكهم في غربي القدس؟

يضيف بن يائير أنه يعرف ويذكر جيدا أن كل عائلة يهودية أخليت من حي الشيخ جراح حصلت على بيت بديل في غربي القدس، من البيوت التي أخلاها العرب. ويقول: لقد حصلنا على أملاك بشكل رسمي دون أن نتنازل عن أملاكنا بشكل رسمي وبالمقابل يسكن اليوم في الشيخ جراح لاجئون «هربوا» إلى هناك خلال الحرب. وإذا ما كان من الممكن الحديث عن عدل في ظروف الحرب، كما يقول، فإن هذا الحل هو الأقرب لذلك، رغم أن المبادلة لم تتم واحداً مقابل واحد ورغم أن عدد الأملاك المتروكة من قبل الفلسطينيين في غربي القدس، أكبر من عدد الأملاك التي تركت من قبل اليهود في شرقي القدس، كما أنها أغلى بكثير خاصة في أحياء القطمون والطالبية ومأمن الله والبقعة.

المستشار القانوني الإسرائيلي والقاضي السابق ميخائيل بن يائير، يشير إلى ثلاثة قوانين تم سنها بالتزامن وميزت بين اليهودي الذي منحته الحق في «تحرير» ملكه في شرقي القدس وبين الفلسطيني، الذي أصبح مقيما في إسرائيل بعد ضم شرقي القدس، ويستطيع الحصول على تعويض فقط عن أملاكه من قبل الـ٤٨، وبينما يستطيع الفلسطيني الحصول على تعويض زهيد لأنه يحتسب وفق تسعيرة الأملاك العام ٤٧ في حين يستطيع اليهودي استعادة ملكه في شرقي القدس رغم حصوله على ملك بديل في غربي القدس.

ويستخدم بن يائير تعابير شديدة اللهجة ضد القضاة الإسرائيليين الذين سمحوا لجمعيات يهودية أن تقوم بطرد عائلات لاجئين فلسطينيين وتحويل أبنائها إلى لاجئين للمرة الثانية خلال ٦٠ عاما، فالموضوع ينحصر بخلاف مجرد على ملكية، حيث يتم إخلاء لاجئين فلسطينيين يسكنون في هذه البيوت على حساب بيوتهم التي تركوها في غربي القدس. ويتم اخلاؤهم لصالح سكان يهود لا تربطهم أي علاقة بالعائلات اليهودية التي سكنت في حي الشيخ جراح اليهود قبل العام ٤٨. وكيف يتصرف السكان الجدد ببلطجة مقصودة بهدف تيئيس من تبقوا من السكان الفلسطينيين ودفعهم إلى ترك الحي.

ما يجري في الشيخ جراح شبيه بما يجري في سلوان بفارق واحد، وهو أن جزءا كبيرا من المنطقة المحاذية لما يسمى بمنطقة «شمعون هتسديك» يستوطنها اليهود، وإن كان ليس عبر مساكن شخصية بل من خلال مؤسسات مثل مباني الحكومة وقيادة شرطة إسرائيل الكائنة في الشيخ جراح ومستشفى هداسا في جبل المشارف.

هدم فندق شيبرد والاستيلاء على مقر المفتي

بغية استكمال التتابع الاستيطاني هدمت سلطات الاحتلال في أيلول ٢٠١١ فندق شيبرد[١٢] الكائن في الشيخ جراح وهو مقر مفتي فلسطين الراحل الحاج أمين الحسيني، بعد ان أعلن أنه تم شراؤه من قبل الملياردير اليهودي إروين مسكوفيتش، عراب الاستيطان في القدس والداعم الرئيس للجمعيات الاستيطانية وعلى رأسها «عطيرت كوهنيم»، استعدادا لبناء حي استيطاني جديد ملاصق ومكمل للحي الاستيطاني المسمى»شمعون هتسديك» حيث سيشمل ٢٠ وحدة استيطانية.

وكان مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني[١٣]، أحد أبرز القيادات الفلسطينية في القدس، شيّد منزلاً في العام ١٩٣٠ في حي الشيخ جراح واتخذه مقرا له، لكنه لم يتمكن من الإقامة فيه بسبب مطاردته من قبل قوات الاحتلال البريطاني. وبعد ذلك بثلاثين عاما اشترت

شركة فلسطينية البيت من عائلة الحسيني وأقامت إلى جانبه ما صار يعرف بـ«فندق شيبرد»، قبل أن تتم مصادرته من قبل سلطات الاحتلال عند احتلال القدس من خلال قانون «ملاك الغائبين»، ثم آل إلى المليونير الأميركيّ الأصل اليهودي موسكوفيتش بطرق ملتوية، فيما خاضت عائلة الحسيني نزاعا قضائيا مع الاحتلال انتهى بالفشل كما هو معهود من القضاء الإسرائيلي الذي يُعتبر أداة من أدوات تكريس الاحتلال في المدينة. ويشمل المخطط السيطرة على «كرم المفتي» الذي يعود لعائلات مقدسية متعددة من بينها عائلة الحسيني ومساحته تمتد على عدة دونمات.

ويقضي المخطط الاستيطاني بإقامة ٢٠ وحدة استيطانية في المرحلة الأولى على أنقاض الفندق وبيت المفتي، ومن ثم بناء ٢٠٠ وحدة استيطانية في المرحلة الثانية، قبل الانتقال إلى بناء أكثر من ٢٠٠ وحدة أخرى في مرحلة لاحقة على أرض كرم المفتي المجاورة والتي تبلغ مساحتها ٣٧ دونما.

خلاصة

تعمل الجمعيات الاستيطانية الإسرائيلية وفق مخطط محكم الحلقات يهدف إلى أطباق الخناق الاستيطاني حول البلدة القديمة في القدس، من الجهتين الجنوبية (سلوان) والشمالية (الشيخ جراح) وتهويدهما بالكامل (الجهة الغربية مهودة)، إضافة إلى أحداث اختراق داخل البلدة القديمة وإنشاء موطئ قدم في محيط المسجد الأقصى.

وتقوم الجمعيات الاستيطانية في هاتين المنطقتين، سلوان والشيخ جراح، بعملية سطو على بيوت الناس الآمنين في وضح النهار وإخراجهم منها ورميهم في الشارع، وتلقى الدعم لذلك من المؤسسة الاحتلالية الإسرائيلية بكافة أذرعها الأمنية والسياسية والقضائية، وهي لا تكتفي فقط باقتلاع الإنسان الفلسطيني، بل تسعى الى اقتلاع تاريخه ومعالم وحضارته. هذا ما تفعله في سلوان من خلال هدم القرية الفلسطينية واستعادة ما تدعي أنها «مدينة دافيد» وما يرافق ذلك من تبديل الأحياء الفلسطينيين بمستوطنين يهود وتبديل القبور الاسلامية بقبور يهودية. وهذا ما تفعله بالشيخ جراح باستعادة «الحي اليهودي القديم» وتحويل اللاجئين الفلسطينيين إلى لاجئين مرة أخرى وتمنعهم من استرداد أملاكهم في غربي القدس أسوة باليهود.

إن تهويد الشيخ جراح وسلوان والبلدة القديمة يعني خلق واقع جديد غير قابل للقسمة في قلب القدس، واقع ليس فقط يمنع أي تقسيم للمدينة، بل ويحبط أيضاً أي محاولة لحل القضية الفلسطينية على أساس الدولتين.

مراجع مختارة:

مايكل دمبر– الاستيطان اليهودي في القدس القديمة– مجلة الدراسات الفلسطينية مجلد ٢ عدد ٨ مؤسسة الدراسات الفلسطينية موجود على رابط http:// www.palestine -studies.org/ar/mdf/abstract/34481 تمت الزيارة الأخيرة يوم ١٤/٥/٢٠.

المركز الفلسطيني للإعلام – تهويد القدس– تقرير معلومات حول سياسة الاستيطان والتهويد للقدس والمسجد الأقصى– ٢٠١٠/٣/١٣ – مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، موجود على رابط http://www.alzay- touna.net/permalink/5413.htm تمت الزيارة الأخيرة في ١٤/٥/٢٣.

وفا – وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية– وسائل تهويد مدينة القدس – موجود على رابط http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3586 تمت الزيارة الأخيرة في ١٤/٥/٢٠.

نجيب فراج –أريج: ٢٠١٤ عام الاستيطان والتوسع الإسرائيلي وتهويد القدس بامتياز. نشر بتاريخ ٠٣ كانون الثاني ٢٠١٥– موجود على رابط http:// www.pead.ps/.html تمت الزيارة الأخيرة في ١٤/٥/٢٠.

نظمي الجعبة – تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس – مؤسسة الدراسات الفلسطينية– مجلة الدراسات الفلسطينية مجلد ١٣، عدد ٥٠ (ربيع ٢٠٠٢)– موجود على رابط http://www.palestine-studies. org/ar/mdf/abstract/34791 تمت الزيارة الأخيرة في ١٤/٥/٢٠.

محمد عبد ربه – الاستيطان والطرد «الصامت»– جريدة السفير – كانون الأول ٢٠١٣ موجود على رابط http://palestine.assafir.com/Article. aspx?ArticleID=2707 تمت الزيارة الأخيرة يوم ١٤/٥/١٩.

مراجع باللغة العبرية:

نير حسون– رجل القش التابع لعطيرت كوهنيم يواصل دفع الثمن –٢٠١٤/٠٣/١٣– «هآرتس» ١٣:٠٥ موجود على رابط http://www.haaretz.co.il/maga- zine/.premium-1.2269012 تمت الزيارة الأخيرة في ١٤/٥/٢١.

كوبي نحشوني – عطيرت كوهنيم– في قلب الحي الاسلامي –٠٨/٣/١٨ موجود على رابط http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3520478,00. html تمت الزيارة في ١٤/٥/٢٣.

نير حسون– هكذا تساعد إسرائيل جمعيات اليمين على الاستيطان في القدس–– «هآرتس» ١٠/١١/٥. موجود على رابط http://www.haaretz.co.il/news/ investigations/1.1228499 تمت الزيارة يوم ١٥/٥/٢٠.

عطيرت يروشلايم الموقع الرسمي باللغة العبرية موجود على رابط https://www. ateret.org.il/hebrew/ تمت الزيارة الأخيرة يوم ٢٢,٥,١٤

نير حسون – مستوطنون من جمعية العاد استولوا على سبعة بيوت في سلوان –٢٠,٩,٠١٤ «هآرتس» موجود على رابط http://www.haaretz.co.il/ news/politics/1.2446378 تمت الزيارة الاخيرة يوم ١٤/٥/١٩.

جمعية العاد– الموقع الرسمي باللغة العبرية موجود على رابط http://www. hadarmorim.co.il/publisher.asp?id=192 تمت الزيارة الأخيرة يوم ١٤/٥/١٩

نير حسون– وثائق داخلية تكشف العلاقة بين سلطة الاثار وجمعية «العاد» الاستيطانية– «هآرتس» ١٤/١١/١٤ موجود على رابط http://www.haaretz. co.il/magazine/.premium-1.2484950 تمت الزيارة يوم ١٩,٥,١٥

ميخائيل بن يائير – كتاب الشيخ جراح– «تيكست»– كتب جديدة – أيار ٢٠١٣ موجود على رابط http://www.text.org.il/index.php?book=1310051

رونين مدزيني– يهدمون فندق شيبرد– «واينت» موقع صحيفة يديعوت أحرونوت الالكتروني– موجود على رابط http://www.ynet.co.il/ articles/0,7340,L-4010742,00.html

الهوامش

١ «هآرتس» ١٠/١١/٥ -http://www.haaretz.co.il/news/investiga- tions/1.1228499

٢ المصدر نفسه -http://www.haaretz.co.il/news/investiga- tions/1.1228499

٣ التقديرات تأخذ بعين الاعتبار المعطى الذي خرجت به لجنة «كولجمان» التي عينتها حكومة رابين العام ٩٢ وتحدثت عن نقل ٦٨ ملكا فلسطينيا لجمعيات المستوطنين.

٤ انظر/ي الصفحة الالكترونية: -http://www.hadarmorim.co.il/pub- lisher.asp?id=192

٥ الموقع الالكتروني للجمعية .http://www.hadarmorim.co.il/publisher. asp?id=192

٦ «هآرتس» ١٤/٩/٢٠ -http://www.haaretz.co.il/news/poli- tics/1.2446378

٧ «هآرتس» ١٤/١١/١٤ -http://www.haaretz.co.il/magazine/.pre- mium-1.2484950

٨ ربطته علاقة مباشرة بوزير الإسكان في حينه اريئيل شارون، الذي «تملك» بيتا تابعا للجمعية في المدينة منذ العام ١٩٩٢، وهي علاقة تعززت مع الوقت وبعد تسلم الأخير رئاسة الحكومة الإسرائيلية، واستمرت حتى تنفيذ «خطة الفصل» على أقل تقدير. هآرتس ٠٥/٩/١٦ /http://www.haaretz.co.il misc/1.1044729

٩ «هآرتس» ١٤/٣/١٥ .http://www.haaretz.co.il/news/politics/. premium-1.2269812

١٠ «هآرتس»٢٠٠١/١٠/١١ موجود على رابط http://www.haaretz.co.il/ misc/1.739298

١١ «تيكست»– كتب جديدو – ايار ٢٠١٣ موجود على رابط .http://www.text. org.il/index.php?book=1310051

١٢ «واينت» موقع صحيفة يديعوت احرونوت الالكتروني– موجود على رابط http:// .www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4010742,00.html

١٣ وفا– موجود على رابط .http://www.wafainfo.ps/atemplate. aspx?id=3586